● ليست عقدة التجاهل الاجتماعى .. تلك التى أرجع إليها الفنان فايز حلاوة سر الحملة التى يتعرض لها « فنان الموال الشعبى الناجح » أحمد عدوية ، من قبل المثقفين - ليست هى التى تسوقنى هنا لأن أنفس عن عذاب يسببه لى الذين يقتنون شرائطه ويديرون أجهزة التسجيل تصرخ بها ليل نهار وفى كل مكان أغنياته !!

يقتلنى أحمد عدوية وآخرون !

عبد العال الحمامصى

وما دامت ليست « عقدة التجاهل الاجتماعى » هى التى تحركنى .. فقد يتبادر أنه الحسد لرجل تنهال عليه « النقطة » بالمئات كل ليلة - يا ترى كم بلغ مرتب عالم الذرة المرحوم الدكتور مشرفة قبل وفاته ؟ - لست حاسدا - وحسبى فى عين الله ما يصلى على النبى - أقولها صادقا فى مواجهة احتمال سيقول « يا ناس يا اخر كفاية فر » وغير ذلك من الحكم والمأثورات « واليافطات » التى يكتبها أصحاب الناكسات وعربات اللورى وأصحاب محلات « الكشرى » والأكشاك التى تحولت فى الحارات الشعبية إلى « بوتيكات

لست حاسدا لهذا الذى كلما زعق « حبة فوق وحبة تحت » انهالت عليه النقطة بالدولارات والاسترلينى والريالات والدنانير والجنيهات من فوق ومن تحت !! وكله عاوز من كله !..

زاده الله من نعيمه وأكثر من نقوطه .. والدنيا حظوظ ومزاجات .. هكذا قالت لنا أغنية « مدرسة المشاغبين » .. المدرسة التى أصبحت مناهجها مقررة علينا . ومأثورات « جهابذتها » تتردد الآن فى الشوارع والمقاهى .. المدرسة التى أصبحت منهجا فى السلوك .. وعندما كانوا يقولون لنا لندفعرنا إلى الذاكرة والتحصيل « من طلب العلا سهر الليالى » أما الآن فالمطلوب من تلاميذنا وطلبتنا أن « يصموا » مأثورات عادل إمام وسعيد صالح والتلميذ الذى وصف والده ناظر المدرسة بأنه « مهروش » .. يا له من منظر لناظر مدرسة يقول لتلاميذه « مناخير أبوكم ملحوسة » لقد أصبحت هذه المدرسة تراثا قوميا تربويا يتحسونا به بين الحين والحين .. لدرجة أن التليفزيون - يوم كان الوطن يحترق بأحداث النسغب فى يناير - لم يجد غير مدرسة المشاغبين يقدمها إسهاما منه فى إنقاذ الوطن وإطفاء الحريق !!

الطلرسة تذهب بى بعيدا .. ولكن الحديث ذو شجون . كما كان يقول الدكاترة زكى مبارك . هل تتذكرون رجلا بهذا الاسم وغيره من أمثال محمد فريد وجدى وأحمد محرم وسلامة موسى وسعيد العريان وفريد أبو حديد والمازنى وإسماعيل مظهر وغيرهم . هل تتذكرون هذه الأسماء فى غمار موجة محمد صبحى وعدوية والبيه قشوش والمعلم بيرة

كنت أتحدث عن عدوية ما الذى كنت أقوله أو تذكرت أكنت أتحدث عن الحسد لا أحسد أنا من البداية كنت أعرف وقد أدركنى بعض حرفة الأدب .. والشهادة لله أنها لم تدركنى بل أنا التى لهثت خلفها .

أعرف أننى اخترت ولم يعد يضايقنى أن تطاردنى مصلحة الضرائب كلما فتحى المزاج وكتبت قصة . فتلاحقنى بالخطاب تلو الخطاب لإحضار المستندات . وأعرف ما يلحق من قروش المكافأة بعد خصم ضريبة المبيع فى اللف على كل المصالح والأجهزة التى يحتمل أن يتعامل الأديب معها لإحضار شهادات رسمية بقيمة ما أخذه !!

لست حاسدا لأحمد عدوية ولكنى مريض ت ة بكبوب يفتح متنزى ويسوط أعصابى كلما أطلقوا على صوته .. مزاجى هكذا . أليس من حق أن يكون لى مزاج ؟

أسكن فى شارع الشندويل بالجيزة . بالشارع ثلاث مدارس ومستشفى ومكتب صحة ومسجد منه أقوله كان الشارع مختصا ومجاورة وقورة تحول إلى موقف تريلات كارو ومسرح خضار وأكشاك فى عرض الطريق وعربات يد وتلاتة زبالة ومناطق نوم

عبد الوهاب

الموسيقى تخاطب الوجدان

وحوالات بشر وأسراب ذباب يغوص وحشرات أجيال أعرفها ولا أعرفها وليس هذا هو المهم أبدا .

ما أعنيه أن كل عربة كارو فى الشارع كل كشك كل فتة بمطرب أو مشتة فراميط أو كوبرى بيلاع بطلوا جهاز تسجيل تنطلق منه شرائط أحمد عدوية كل بائعة خضار حولها ثلاثة من المخلوقات التى يسمونها أكبادنا تمشى على الأرض هنا تزحف بدلا من المشى وعلى الشوال يرقد الرابع ومن فتحة الثوب تلتقم الحلمة تذيب والجهاز على اتساعه أو فوق النقطة وأحمد عدوية يزعق على آخر مدى وعينا أغفل النقطة عدوية يخترق الحوارى فتسيل تكسروجه وياسمنى ولا يبالى غير أن تصبح نسمة فى تشور الأرض عضة وخانقة وأقتح الخانقة اشتم تزوجنى عمد تزوق من شدة الحر ويقف الهواء فيتصبب العرق ويهجم الذباب وتنتشر رائحة الشارع ويجتجل أحمد عدوية وتنسرى أعصاب ذهب إلى الشارع أترصد منهى عقل صاحبه عن اكتشاف أحمد عدوية وبعد قبل بيت المعلم كيفه فبدير جهاز التسجيل المجاور لعلبة الفول فوق نزيزة العلمة ويخرج لى أحمد عدوية ..

باظت أعصابى نصحنى الأصدقاء بأن أذهب إلى الإسكندرية بصحة أبوه تصادف ذلك أن شاهدت فتاة صغيرة بعدكها ثلاثة أشطح دفعتنى غريزتى التصعيدية لأن أتدخل .. تقوقت بالكلمات أحمد شطح منيه الشىء حجرا قال لى لا تتقشف أحمد عدوية يبنى العمارة الثانية أو أحمد ما أقوله مداه يبنى صاحبة العمارة الثانية فكل شىء مباح !! صبغنا بشرشكى قال قف إذا كان الله ليس موجودا فكل شىء مباح !!

وركبت وتاكسى بالفيوم وعدت من الطريق الزراعى . ظهل السائق سد غافر سيدى جابر يتشرعى بأشرطة أحمد عدوية كلما فرغت الشرائط عاد من البداية ويوجدنى على حافة الجنون ماذا أفعل وكل الركاب عشاقه والدليل هذه التصفيقات المنغومة التى تخيط على إيقاع كلماته طلبت من السائق فى أدب أو يدير الراديو لنسمع شيئا نظر إلى فى استغراب ولكن الكتاب فى يدى أقنعه بأننى من الباعة أدار الراديو وهتف صاحب الشارع الغربى بنغمته . وبعدها تدافعت موسيقى محمرة تلك لنفسى أرهم من عدوية بعد دقيقة واحدة اعترض الركاب الستة فى صوت واحد كان السائق ينتظرها !

عاد عدوية وليطيب السائق خاطرى قال لى الأغلبية بابيه الأغلبية اه على العين والرأس . ارتع بأغلسنك يا عدوية وحمى المجنون !

والآن هل فيكم من يجد لى حلا أنه أكون متحرف المزاج فاسد الذوق أعيش على أوهام يتهوفن وموزار وباخ وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب وطيب الذكر المرحوم فريد الأطرش هيك قال سعد مكاوى وبا حسين فوزى ويا ترومبا عكاشة فلتسد دماغى قليلا بعيدا عن الموسيقى الرائعة أفسدت قدرتى على معاشرة عاقرة آخر الزمن !!

هل فيكم من يجد لى حلا من ينقذنى من هذا المرض من حساسية أعصاب يسببها لى أحمد عدوية ؟

لقد خدعنى منذ البداية أولئك الذين حدثتنى كتبهم عن الثقافة والنفس الرفيع وغيره فقد : الفكر فى منع الخطابة ولا يخلو فى رأيه منيه إنى سأتفق بأحمد عدوية والخرين فى نهاية الطريق .

●

● فى فيلم الفاتنة والصعلوك . ظهر أحمد عدوية كمطرب شعبى واستمر عرض الفيلم ١٥ أسبوعا .

عندما يغنى عدوية يأخذ العقل أجازة !

لو حذفنا الكلمات العجيبة من أغانى عدوية . ولم نستسلم لأوهام أصحاب الشهادات . وبقدر الإمكان كنا محايدين لنحاول أن نحلل لغز أغانى « الغرزة » التى يسمعها الأثرياء جدا فى الملاهى ويدفعون عليها النقوط . هل بعد ذلك نقبل ظاهرة أحمد عدوية ؟ !

عائشة صالح

جمهور عدوية هم رواد الملاهى والأثرياء جدا . يقول عدوية إن عبد الحليم حافظ أيضا من جمهوره . أخذه معه أكثر من مرة فى حفلات الأمراء . وقدمه إليهم . وغنى لهما عدوية . يقول عدوية إنه هو الذى اقترح على عبد الحليم أن يعيد أغانيه القديمة . مثل أهواك وظلموه . وفعلا اقتنع عبد الحليم وغناها من جديد فى الحفلات . والصور تشهد . عندى صورة مع عبد الحليم فى نفس اللحظة الذى قلت له هذا الاقتراح .

يذهب الأثرياء جدا إلى ملاهى شارع الهرم يفرحون جدا إذا ظهر عدوية . أمام أى ملهى عدد هائل من العربات الأنيقة . كل عربة تركبها صاحبها ليسهر فى داخل الملهى . يأكل ويشرب فى نفس الوقت يرى رائصة ، ثم يسمع المطربين . إذا ظهر عدوية ضجت الصالة بالحيوية . وربما تركوا الأطباق والأكواب حتى يستمعوا إلى عدوية .

قلت لعدوية : إننى سمعت أغانيك . . .

قال : كم أغنية ؟

قلت : على الأقل سبع ساعات لأعرف ماذا تغنى .

قال : ليست هذه كل الإغانى

قال : ما رأيك ؟ .

قلت له : لن تغنى يا عدوية ؟ بعنى أنى أرى جمهورك من أسلوب أغانيك .

قال : لا تظلمنى . الكاسيت ليس كل عدوية حقيقة عدوية أروع من ذلك . إذا غنيت للناس يكون للأغنية مستوى آخر . انتظرت حتى سمعت عدوية مرة . الغريب أن الجمهور معه كأنه فى مباراة كرة . إذا ظهر عدوية يسرى الحماس فى الجمهور . يتناثر حوله الكلام . والتحية . كأنه يعرفهم وهم يعرفونه فإذا غنى اندمج الجميع معه . رغم أن هؤلاء ليسوا الجمهور الحقيقى لأحمد عدوية .

أول أغانى عدوية « السع الدح امبو » بيع منها ربع مليون اسطوانة فى عام ١٩٧٣ . قبل أن تطبع على كاسيت . أغنية « سلامتها ام حسن » مثلها

●● من يشترى الكاسيت والاسطوانة ؟ هل هم الأغنياء فقط ؟ هل هم المثقفون ؟ هل هم الموظفون ؟ هل البنات فى المدارس ؟ هل أبناء البلد ؟ من الذى يشترى ربع مليون اسطوانة ؟

● ليست الأغنية كلمات فقط . أضعف ما فى عدوية هو الكلمات التى يغنيها . نظلمه إذا اتهمناها بالخروج ليس فى الأغنية ما يخدش الحياء . إنما هى ألفاظ نوع من أبناء البلد . الذين يسهرون فى الغرزة . بين أكواب الشاى الأسود والأنفاس أبيضا . عادية أو غير عادية . ثم ينطلق الخيال . كل إنسان يحب . خيال الحبيبة هو الذى يسيطر على كلمات الأغانى . لكن الحبيبة تسكن فى حارة صغيرة . من داخل حارة . هى بنت بلد . بالمنديل أبو أربة والألفاظ التى يستعملها أبناء الغرزة فى الغزل . واللفظ يجر اللفظ والجملة تجىء بالجملة بعدها . لا يجرى الكلام بالمنطق المألوف فى الأغانى . الكلام فى أغانى عبد الوهاب له منطق . والكلام فى أغانى أم كلثوم . وعبد الحليم له منطق . منطق الذين يستعملون عقولهم دائما . أو أحيانا . ومنطق الخيال الذى يحب بنت القصور أو فتاة الجامعة أو الموظفة من الطبقة المتوسطة . عدوية يغنى من منطق آخر هو منطق بنت البلد التى أبوها نجار وأخوها سباك وأختها تعمل فى مخبز أو فى بقالة . المستوى الذى ينساب فيه الخيال هو الحارة المدودة . وبنت الحارة والسهر فى الغرزة حتى آخر الليل . لا يكون الكلام متماسكا فى خياله بالمنطق المألوف . إنما بمنطق خاص به يشبه منطق الأحلام . تتداعى المعانى فيه لأقل ارتباط عدوية له أغنية اسمها بنت الأمير .

● قريب لى مريض . . زرته فى المستشفى . بجانبه جهاز تسجيل . سألنى هل سمعت عدوية . . لما دخلت المستشفى وجدت أكثر الأطباء لديهم تسجيلات له . والممرضات سألنى طبيب من الأصدقاء هل سمعت عدوية الأفضل ان تسمعه معى . . أحضر جهاز التسجيل وأسمعنى أغانيه . . وسمعت عدوية . . ليس الكلام هو كل شىء . . اللحن فيه شىء . . وهذا الصوت ماذا فيه . . لماذا أصبح شيئا لازما فى أفراح عدد كبير من الأسر . فى الشارع تسمع ألفاظا من أغانيه . . وقال لى قريبى إن بليغ حمدى لحن له أغنية « بنج بنج » وأغنية اسمها « اسلمين » وأحمد فؤاد حسن لحن له اغنيه « ميت قل وعشرة » وسيد مكاوى لحن له « سب وانا اسيب » فاروق سلامة لحن له « سلامتها ام حسن حسن أبو السعود لحن له « بنت الامير » عدوية نفسه لحن لنفسه . . إنه يجيد العزف على الناى . . أحيانا يكتب الكلمات ويلحن مثلا :

الناس لها حب واحد . . وانا ليه فى البلد غيره . . ادى حب بحرى البلد وحب قبلها . .

وحب غرب البلد .. وحب شرقيها .. وحب وسط البلد .. وانا اللى اتوه فيها ..

● بلد الشهادات . النعيم باليكالوريوس والليسانس . والذى لا يحمل شهادات لا يكون مثقفا . عدوية بلا شهادات . ولا الابتدائية . إنه يفك الخط بصعوبة . لكنه وقف أمام الشهادات الموسيقية كلها . وأمام الإذاعة والتليفزيون وامام النقاد . قال إننى هنا أغنى . فما رأيكم ؟

ربما أكبر جمهور للمطربين الآن هو جمهور أحمد عدوية لأنه من قطاع ينسى فى المجتمع . فى بلدنا فرص كثيرة لأبناء المهن البدوية لأصحاب الحرف . المؤهلات العالية يعملون موظفين . فى بلدنا فرص السفر صعبة لكن عمال النجارة والبناء . والسباك والكهربائى . أى عمل يبدى أرقى مطلوب فى الدول العربية يسافر الكهربائى . يعود غنيا لا يسافر فيرتفع الطلب عليه . وجد هذا القطاع الكبير فرصته فى السنوات الأخيرة . ووجد ديمقراطية . يستطيع أن يتكلم . ويعبر . لديه رغبة فى التعبير . ولا أحد يمنعه من التعبير . فإذا وجد من يرفع رأيه ويعبر عنه فإنه يتعلق به . فى السياسة أو الفن .. عدوية وجد نفسه يعبر بالأغنية عن هذه الطبقة وهو منها يفكر مثلهم يتخيل بنفس أسلوبهم . ألفاظهم . التراكيب . منطق النظرة إلى الأشياء . لذلك انتشرت بينهم . جمهور عدوية من أبناء البلد ومن الحرفيين ويمتد جمهوره إلى أى عامل . وأى فلاح .. امتد بعد ذلك إلى أى مثقف وأى واحد من الأثرياء .

● الموهبة غير الشهادة . موهبة عدوية فى أنه يملأ الجو عندما يغنى . هذه حقيقة . لا حظت أنه يبدو أطول قامة . وأن بينه وبين الجمهور ألفة عميقة . لا حواجز . الحوار مستمر بينهم وبينه . حتى وهو يغنى يخرج البعض يقف بجانبه . وتلمع الكاميرا لتسجيل هذا فى صورة . عدوية مستمر يغنى . يخرج غيرهم . يدبعون « النقوط » عشرة جنيهات ربما عشرين يأخذها عدوية دون مبالاة . كأنها من ابنه أو أبيه وهو مستمر فى الغناء .

ما الذى تشعر به وأنت تستمع إلى عدوية .. نحاول تبين الأحاسيس بالدقة .. إنها نفس الأحاسيس مع عبد الحليم فى بداية الطريق أيام غنى : يا مفرقين الشموع قلبى فين الحب عمره سنة والهجر عمره سنين .. أيام أغنية : خسارة خسارة .. فراقك يا جارة . لا تملك إلا أن تشعر بأن عبد الحليم ليس غريبا كأنه أخ أو ابن . يعنى أن بينك وبينه صلة . هذا بالضبط ما ساعد عبد الحليم ، موهبته الحقيقية أن فى قلبه رحم نسميها فى دراسات الإعلام « نظرية الاتصال » الإشعاع الذى يزيل الحواجز ليربط بين القلوب لا شأن لهذا الإشعاع بشهادات الجامعة ولا المدارس . إنه موهبة وحده . أعطى الله منها لعبد الحليم وأعطى منها لأحمد عدوية . يختلف المستوى والدرجة . لكن الرحم موجودة . فإذا القلوب تتفتح له . حتى ولو لم يدخل المدرسة .

● ● فإذا ذهب الأغنياء إلى الملهى تركوا عقولهم خارجه . الذى يدخل الملهى هو الجسد ، الذى يريد أن يأكل ويشرب والرغبة فى الاستماع الذى لا يحرك العقل . إننا نذهب إلى الملهى لنعطى العقل إجازة ، ولا نريد أن تستعمله ما دمنا هناك .

● كيف يستمعون . ترقص الراقصة . الموسيقى مع الراقصة تكاد توقظ النيام فى آخر شارع الهرم . لأنها زاعقة . ضجة عالية . حتى تشد إنتباه الجمهور . وأى واحد على مائدة . على مائدته ما يشده .. وعلى الراقصة أن تنزعهم من المائدة ليلتفتوا إليها . والمطرب أيضا يغنى وعليه أن ينتزع رواد الملهى حتى لا يهتموا بالمائدة وما عليها أكثر منه .. لكن عدوية أكثر المطربين نجاحا فى جذب الانتباه . يقف ممدودا . فيه اعتداد . واثق من شعبيته . يلاغى الجمهور .. الجمهور يلاغيه أيضا . إذا بدأ يغنى يبدو أن قامته أطول . وأنه تغير فأصبح وسيما وسرى فى الجمهور حيوية وحماس . عدوية يغنى بهذه الحيوية . إنه يفجر فى الكلمات التى لا معنى لها معانى من حيويته . لأنه مندمج بعمق . رغم أنه يلاغى الجمهور ، ويستجيب لمعاكسات الجمهور . شىء غريب فى عدوية أنه ينشر الحيوية فى المستمعين له ، وفى الكلمات التى يغنيها ، وفى اللحن ، ولا يتخلى عن اندماجه فى الأغنية أبدا . هذه الحيوية التى يغنيها على جمهوره هى جزء من أسرار عدوية . تتحدد بها موهبته الأساسية التى منحها الله له . وهى التعاطف والتراحم الذى يذيب الحواجز والذى نسميه « القبول » وهذا القبول لا سلطان لأحد عليه إنه من عند الله ..

● لما ظهر عدوية فى السينما أحدث دويا .

يقول الناقد عبد المنعم سعد فى كتابه الجديد « السينما المصرية فى موسم » . عن هذه الظاهرة :

« لعل أهم ما يلفت النظر فى فيلم « الفانتة والصعلوك » هو ظهور المطرب الشعبى أحمد عدوية فى أول أفلامه السينمائية لمدة عشرين دقيقة فقط .. كبائع فول فى حارة يغنى أغنيتين هما « حبة فوق وحبة تحت » ثم « كله على كله » ويهتف الجماهير ليس فى الصالة فحسب وإنما أيضا فى مقاعد اللوج وتهتز دار السينما ويمتلىء شارع طلعت حرب كل ليلة وكل حفلة بآلاف المشاهدين لسماع مطرب « السح الدح أمبو » .

● ● ماذا حدث وماذا جرى للسينما المصرية .

استمر الفيلم خمسة عشر أسبوعا وحقق إيرادا ٤٤ ألف جنيه فى سينما ميامى فقط من أجل صوت عدوية وكأن الجمهور يستمع إلى صوت أم كلثوم أو كأنه يستمع إلى داليدا فى مسرح أوليمبيا بباريس أو عبد الحليم فى فندق شيراتون أو ديسى فى نادى الجزيرة !!

لماذا يتهافت الجمهور على دار السينما ليسمع صوت عدوية ؟ هل لأنه يغنى لسكان الحوارى والأزقة وهو يجيد كفاح مطرب بدأ من القاع .. ويعبر عن ابن البلد المطحون ؟ أو لأن صوته حرم من أجهزة الاتصال الرسمية من إذاعة وتليفزيون فأصبح كالفاكهة المحرمة التى تغرى الناس ليذوقوها ؟ ربما . هل هو ظاهرة شعبية تحقق أملا فى أكثر الطبقات وغما كما نجح محمد الكحلاوى فى أفلام الأربعينات والخمسينات ؟ ربما . هل لأنه يعبر عن مشاكل الناس التى تخنق تفكيرهم ولأنه يمثل الرفض العبثى ؟ ربما . أو لأن عدوية يغنى كلاما فارغا فى وسط مجتمع منافق وهو نوع من المخدرة اللا واعية تربح جدا على أساس تفريغ الهموم ؟ ربما . أو لأن أغانيه تخاطب الجانب المفتقد لدى الجموع الشعبية وهى التنافيضات و ما يمكن أن تنبه له من أفكار وعواطف فى أغان لا معنى لها ؟ ربما . أو لأن أغانيه مطلوبة كنموذج عن الأغانى الأخرى وهى نوع من التفريغ والتفريج عن النفس تماما كالأفلام البوليسية ؟ ربما . فى تصورى أن صوت أحمد عدوية هو مزيج من هذا كله وهو نمط جديد فى حياتنا الغنائية الشعبية » . انتهى كلام عبد المنعم سعد ..

● عدوية فى خطر . الخطر من داخل عدوية نفسه .. لأن الكلمات التى يغنيها لا تساعد على أن تكون أغنية محترمة . وأى فن لا يكون محترما لا يستطيع أن يستمر طويلا . كلمات أغانيه يجب أن تتغير إذا كان يريد أن يستمر نجاحه .

● ● وعدوية فى مأزق . إما أن يخطو إلى الأمام ليملأ الجو . ويخطف الأضواء من بقية المطربين . وإما أن يكون مجرد موضة . ما ثلبث أن ترتجه موضة أخرى . وعدوية هو الذى فى يده مصير نفسه .

● أغنيات عدوى تنتشر بأى كلمات وأى ألحان وهى بنت الليل .. تولد فى الملاهى وتأخذ ملامح الليل ... والملاهى .. وأغنيات عدوية أوسع انتشارا موجودة الآن بين المطربين والمطربات .